

الفصل الرابع

شخصيات الإلياذة

تمهيد

سنتحدث إليك في هذا الفصل عن الشخصيات المرسومة في الإلياذة ، لكي نبسط أمامك صورة أخرى من هذه القصيدة الخالدة ، لأننا نرى أن تلخيصها الذي طفقنا به على عجل لا يكفي وحده لتوضيحها في ذهن القارئ الذي لا بد له من فهم شخصيات هذه القصيدة التي هي من أهم منابع « الميتولوجية » الهيلينية بلا جدل ولا نزاع .

تنقسم الشخصيات المذكورة في الإلياذة إلى قسمين : القسم الأول الآلهة ، والقسم الثاني الأناسي ، وسنبدا بإعطائك فكرة مختصرة عن أعيان الآلهة الذين تشرف « هوميروس » بذكر أسمائهم في إلياذته ، والذين انصفوا بمثل ما اتصف به البشر من صفات الكمال والنقص ، وألم بأخلاقهم ما ألم بأخلاق بني الإنسان من خير وشر ، وفضيلة ورذيلة ، والذين هم بالإجمال ليسوا إلا لوحات أمينة للبيئة الهيلينية قد اقتطعهم المؤلف من قلب المجتمع الذي يحوطه ، وخلع عليهم من الأخلاق والصفات ما انتزعه من أخلاق مواطنيه وصفاتهم الواقعية^(١) ، وأضاف إليها ما كان دائماً في عصره من عقائد الشعب في أولئك الآلهة ،

(١) كان أكسينوفانيس زعيم المدرسة الإلياذية أول من تنبه إلى انتزاع المؤلفين والمثاليين من الهيلين أوصاف آلهتهم المعنوية وصورها المادية من بيئتهم ، فأرسل في تصوير هذا عبارته المشهورة : « لو أتبع للأساد أن تصنع تماثيل لآلهتها لصنعتها ذوات محالب وأنياب ، ولو أتبع للثيران أن تفعل لصنعتها ذوات قرون وأذيل » . وإذا شئت زيادة بيان في هذا فارجع إلى صفحة ٨١ من الجزء الأول من كتابنا « الفلسفة الإغريقية » طبعة ثانية .

وإيمانه بأن السماء تشارك الأرض في أحداثها ، وتأخذ بنصيب من مآسيها ، ولكنها إضافة بلغت من الفن والإتقان حداً عظيماً ، إذ أن ذلك المؤلف كان يجمع أساطير الشعب الشفوية ويفيض عليها صورة شعرية خلابة تأخذ بمجامع القلوب ، وتحدد في نفوس السامعين ما كان قبل ذلك مضطرباً متموجاً ، وتساعدهم على فهم ما ورثوه من تراث قديم ، وكانوا يشعرون به في داخل نفوسهم دون أن يوقفوا إلى حسن التعبير عنه ، وليس هذا فحسب ، بل إنه قد حرص على أن يُرى قراءه صورة الطبيعة تنعكس في عظمة وجلال وقوة وسلطان من خلال شخصيات الآلهة الشفافة ، فالسحب والأمطار والرعود والبروق مثلاً تظهر جليلة من خلال شخصية زوس ، وضجيج الهواء وصفير العواصف يبدوان لنا من خلال قوس أبولون وسهامه .

بيد أن الذي نريد أن نشير إليه هنا هو شيء آخر غير هذا كله ، وهو أن ما بعد الطبيعة في الإلياذة يمتاز بالرشاقة المزوجة بشيء من الجلال هي مديفة به للبساطة الرائعة التي تشع أضواؤها في كل جنباتها . ومنشأ هذه الرشاقة الجليلة أو هذا الجلال الرشيق هو أن البيئة الإلهية في الإلياذة تفرد بالحرارة والحساسية ، وليست فاترة كتملك اليبثات المماثلة التي يرسم لوحاتها مؤلفو الأساطير في البلاد الأثرية الأخرى . وقد بلغت هذه البساطة في تصوير الآلهة حداً يحول بين الأبطال من بنى الإنسان وبين الارتياح أو الدهش عند وقوفهم وجهاً لوجه أمام أولئك الآلهة ، ويدفع القارئ إلى الانغماس في بحر من المتعة والسرور ، ويحمله على أن يدع نفسه تستسلم إلى الانتقال إلى عالم ما بعد الطبيعة ليعيش مع سكان الأولمب في تلك العصور الغابرة دون أية مقاومة أو أدنى مجهود ، بل دون أن يفكر في حياته الحقيقية الراهنة . والآن إليك هذه الشخصيات .

(١) الآلهة

١ - زوس « Zeus »

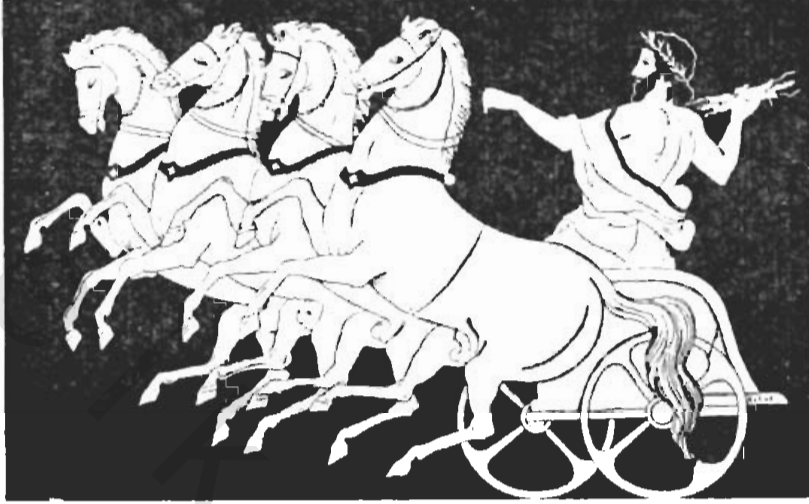
هو كبير آلهة الهيلين ، وسيدهم الذى لا يعصى أحد منهم له كلمة ولا يرد له أمراً ، ومليكهم المبجل ورئيس مجلس الأولمب الذى كانت تتمثل فيه دكتاتوريته بأجلى مظاهرها ، إذ لم تكن آراء بقية الآلهة فيه إلا استشارية إلى جانب رأى « زوس » وكان مغرمًا بالانتقام ، مولعًا بالعظمة والفخفة ، وكان مقنياً فى السماء ولا ينزل إلى الأرض إلا نادراً ، وكان يترفع عن المساهمة فى المعارك الأرضية ، وكانت كلمته هى الأخيرة فى كل حكم ، والحاسمة فى كل نزاع .

ومن نقائصه الخاصة أنه كان على جانب غير يسير من البلاهة وسهولة الانخداع ، وليس عنده سرعة فى الخاطر ولا حدة فى الذهن ، وكان معروفًا بالحق وكثرة الغضب ووفرة الخيلاء والمباهاة بما له من عظمة وسلطان حتى لقد قال ذات يوم لهيئة المجلس وهى مجتمعة هذه الكلمات فى أسلوب كله صلف وعجرفة : « إني لو أمسكت وحدى بطرف من سلسلة ، وأمسكتكم جميعاً بالطرف الآخر منها لرفعتكم كلكم دفعة واحدة فى سهولة ويسر ، أما أنتم فإنكم لا تستطيعون مجتمعين أن ترحزحونى قيد أنملة » .

ولقد خصصت له الإلياذة ثلاثة نعوت تدل أعظم الدلالة على قوته وجبروته وهى : « زوس جامع السحب ، زوس أبو الآلهة والأناسى ، زوس قاذف الصاعقة » . [أنظر الصورة رقم ١٠ فى صفحة ٧٢] .

ومع ذلك فإن الذى يدهشنا فى هذا الموضع هو أننا نلمح فى الإلياذة فوق قوة زوس قوة أخرى متسمة بالظلمة وعدم التحدد وتدعى بالقدر ، ولا يستطيع زوس أن يحاول رد إرادتها ، ولا أن يبدى بإزاء تصرفاتها أى اعتراض ، بل هو يقف أمام أمرها موقف الصاغر المستكين . ومن آيات ذلك ما نلتقى به فى الأنشودة الثانية والعشرين من الإلياذة إذ نرى زوس - وقد اطلع على ما قضت به قوة القدر على هكتور - يتخلى عن حمايته مكرها ، بل

نراه ينن ويتألم لعجزه أمام هذا السلطان القاهر عن إنقاذ ذلك البطل الذى طأنا قدم له الضحايا فوق قمة جبل « إيدا » .



الصورة رقم ١٠ من رسم الفنان الفرنسي نواور أخذاً عن وعاء أثري يوجد في بقعة « هوب » بمدينة « ديدن » وهي تمثل زوس وهو ينفذ الصاعقة .

٢ - أثينية Athénè

هى إلهة الحكمة ، وهى ابنة زوس وأحب أولاده جميعاً إلى قلبه . وقد اشتهرت بالهدوء والسكينة ، وبعد النظر وعمق التفكير ، وقراءة حوادث المستقبل في صحف الأيام . ومن أهم ميزاتها النبل والوفاء ، ولكنها كانت متكبرة تشعر بعظمته ورفعتها حتى على أبيها نفسه أحياناً . أما بقية الآلهة فقد كانوا لا يساؤون في نظرها قلامة ظفر ، وكثيراً ما كانت تزدريهم وتهينهم بتحقيق دوائر اختصاصاتهم التى لا تسمو سمو اختصاصها وهى الحكمة . وقد كان زوس يحترمها ويحلمها ولا يكاد يرفض لها سؤالاً . ومما أثار غضبها حبها الشديد لأبطال الهيلين وعطفها عليهم جميعاً ولا سيما « أخيلوس » و « أوديسوس » و « ذيوميديس » وكان هذا الحب يدفعها إلى سلوك كل الوسائل التى تؤدى إلى حمايتهم من كل شر وسوء ، وكثيراً ما كان ذلك يحملها على النزول إليهم والأخذ بنصيب من تصرفاتهم والنصح لهم بما يفعلون

وما يتركون . ومن أمثلة ذلك ما تحدثنا به الأنشودة الأولى حين تشاجر أخيلوس مع أجاممنون « وبينما كان أخيلوس يدير أفكاره في عقله وقلبه ، وقد جرد فعلاً من الغمد سيفاً كبيراً جاءت أثينيه من السماء مرسله من لدن الإلهة ذات الذراعين البيضاء « هيريه » التي كانت هي الأخرى تحب ذينك البطلين وتقلق عليهما ووقفت خلف ابن بليوس وقبضت على شعره الأشقر بادية له وحده دون أن يراها أى شخص آخر ، فارتجف أخيلوس وأدار وجهه فعرف في الحال « بالاس أثينيه » لأن عينيها كانتا تلمعان ببريق مرعب ^(١) . »

ومن هذه الأمثلة أيضاً ما تروي به لنا الأنشودة الثانية والعشرون على أثر فرار « هكتور » أمام أخيلوس من ظهور « أثينيه » لهذا الأخير وقولها له : « والآن أنا أرجو أننا سنفوز بمجد عظيم بانتصارنا على هكتور مهما كان نهمه في القتال قوياً ، لا ، إنه لم يعد من الممكن أن ينجو منا ولو كان حاميه « أبولون » أحذق الرماة يبذل من المجهود في إنقاذه ما يكلفه الارتقاء تحت قدمي زوس الذي بيده الترس ، هلم قف واسترح ، وأنا أتعهد بأن أذهب للبحث عنه وإحضاره لمنازلتك وجها لوجه » ^(٢) .

ومن هذا النص الأخير يرى القارئ استحكام عروة الصلة بين الآلهة والأبطال إلى حد إعادة ضمير واحد على الإله والبطل واشتراكهما فيما يترتب على نتيجة المعركة من نصر أو خذلان .

٣ - هيريه Héré

هي زوجة زوس الشرعية الوحيدة ، وأخص خصائصها أنها كانت مفرطة في الغيرة على زوجها . وقد كانت مشهورة كذلك بنسج شباك الحيل والخدع التي كانت تنجح في غالب الأحيان مع مثل هذا الزوج المتكلس الرأس ، السميكة العقل كما يعبر الغربيون . ومن أرقش الأعالي التي قامت بتمثيلها معه هو العمل على تنويمه ريثما يتمكن من هزيمة .

(١) انظر الأبيات من رقم ١٩٣ إلى ٢٠٠ من الأنشودة الأولى .

(٢) انظر رقم ٢١٦ وما بعده من الأنشودة الثانية والعشرين .

الترواديين الذين كان زوس قد أخذ على نفسه مؤازرتهم ونصرهم ، ولقد كانت متصفة كذلك بشيء من الغرور والافتتان بجبالها : ويلاحظ قارىء الأساطير الهيلينية فى شىء من الدقة أنها كانت تمجد على أثينيه من أجل حكمتها وجلالها فى قلب والدها ، ولكنها لم تكن تجرؤ على إبداء شىء من هذا ، بل كانت تتملقها أحياناً لتستعين بها على تنفيذ مآربها التى لا تتم إلا بهمة أثينيه الفائقة وحكمتها العالية .

٤ - فيبوس أبولون Phoebus Apollon

هو ابن زوس وشقيق أرتميس ، وهو إله الشمس والضوء والشعر ، وكان أحق غضوباً مغرماً بالانتقام حتى على توافه الهفوات وصغائر الغلطات .

٥ - أفروديتيه Aphrodite

إلهة الجمال والحب والعلاقات الجنسية ، وهى من ناحية الخصائص التى تنسب إلى الآلهة خالية خلواً تماماً أو يشبه أن يكون تماماً . أما ميزاتها فهى نسائية بحته ليس عليها من المسحات الإلهية كثير ولا قليل ، وإنما تنحصر مواهبها فى الجمال والحب والغرام والافتتان بالحسن والخلاعة والمجون والإغراق فى المتع الجنسية ، والاستهتار فى الرذيلة والفجور . وكان الآلهة والإلهات الآخرون ينظرون إليها جميعاً إما نظرة عطف ورحمة لضعف أخلاقها ومرض وجدانها ، وما نظرة استهانة وإزدراء لسقوطها فى حماة الرذيلة وترديها فى بؤرة الفاسد والمجون .

هؤلاء الآلهة الذين حللنا شخصياتهم فى شىء من الإيجاز هم الآلهة الذين لعبوا فى الإلياذة أدواراً هامة ولذلك فنحن نقتصر فى هذا الفصل على تحليلهم كما رسمتهم هذه الملحمة لأننا لسنا الآن فى معرض الحديث عن كل آلهة الهيلين ، إذا أن لهذا الموضوع فصلاً خاصاً به .

(ب) الأبطال

بما أننا أتينا على تحليل الشخصيات الخطيرة في الإلياذة من أعضاء مجلس «الأولمب» فقد وجب علينا أن ننقل إلى القسم الثانى من هذه الشخصيات وهو قسم الأناسى فنطوف بأهمهم وأعظمهم فى سرعة وعجلة كما طفنا بالآلهة .

غير أنه يجب أن نعلم هنا كما علمنا بإزاء الآلهة آنفاً أن المؤلف لم يخلق أوصاف هؤلاء الأبطال خلقاً ولم يمنحهم ما فيهم من محامد ، أو يتجن عليهم بما عزاه إليهم من مساو وعيوب ، وإنما ألغى كل هذه الصفات معزوة إلى أولئك الأبطال والبطلات فى الأساطير الشفوية منذ أقدم العصور ، ومثبتة فى الأناشيد القصيرة التى كان الجوالون يتغننون بها ، فجمعها ورتبها وخلع عليها من عبقريته تلك الصور الفنية القاتنة التى كان لها الفضل فى تخليد تلك الشخصيات وإلباسها ثوباً من الحقيقة الناصعة .

١ - أخيلوس Akhilleus

هو أعظم أبطال الهيلين وأشجعهم على الإطلاق ، وكان أبوه « بيليوس » ملكاً من البشر ، وأمه « ثيتيس » إحدى إلهات البحر الصغيرات . وقد عول المؤلف على أن يتخذ منه البطل الأساسى للمحتمة فجعله رمزاً للقوة والبطولة والعظمة والجمال والرحمة والوفاء والنبيل والشرف والغيرة على الكرامة . وبالإجمال قد صورته لنا الإلياذة أجمل وأشرف من كثير من آلهة الهيلين أنفسهم ، ولكن المؤلف لم ينس أنه كان أيضاً مثال الشباب الثائر الذى لم تكسر الحوادث الحزنة نفسه ، ولم تحطم الكوارث القاسية صلابته ، فرسمه لنا سريع الغضب إلى حد خفيف ، متصلباً فى رأيه إلى أبعد حدود التصلب ، خاضعاً للعاطفة والهوى أكثر من خضوعه للمنطق والتفكير الحكيم الذى هو من مميزات شيوخ السن أو شيوخ الحوادث المرة والتجارب الأليمة .

لا نكاد نتصفح الأنشودة الأولى من أناشيد الإلياذة حتى نشاهد عظمة أخيلوس بادية فيها للعيان ، فهو الذى يفكر للمرة الأولى من بين الأبطال فى التنقيب عن مأتى الوباء ووجوب البحث عن وسيلة التخلص منه فيطلب إلى « كلخاس » الكاهن أن ينبئه بسر غضب الآلهة عليهم ويتعهد بحمايته مهما كانت خطورة ما سينبئ به . ومن هذا التعهد يحس القارىء بأن سلطانه فوق كل سلطان ، وسنسوق إليك نموذجاً من هذا الأسلوب القوي الجبار عند عرضنا نماذج من الإلياذة .

٢ - أجاممنون Agamemnon

هو ملك ملوك الهيلين وعاهلهم الأعظم ، وكان شجاعاً مقداماً ، ولكن شخصيته تظهر فى بعض أناشيد الإلياذة سمجة ثقيلة الظل ، لأنه كان أنانياً مغروراً متغطرساً عنيداً سيئ التصرف قصير النظر ، يفضل شهواته الخاصة على المنفعة العامة حتى فى أخطر الأحوال وأحرج الظروف . وليس أدل على ذلك من تمسكه بالاستحواذ على أسيرة أخيلوس الجميلة ، ولم يبال فى سبيل تلك الرغبة بما ترتب عليها من تفرق الصفوف ووقوع الشحناء بين الملوك والزعماء ، ذلك الحادث الذى لولا تدخل أثينيه فيه فى ذلك اليوم الهائل المشهود لأجهز سيف أخيلوس على عنق أجاممنون وعلى أعناق كل الذين يحاولون الانتصار له أو الدفاع عنه .

على أنه لا ينبغي أن نفوتنا هنا الإشارة إلى أن أجاممنون هو أكثر شخصيات الإلياذة حظاً من التناقض الذى أصابها بسبب اختلاف المؤلفين . فنحن مثلاً نراه فى الأنشودتين الأولى والحادية عشرة ملكاً متكبراً ، شاعراً بقوته وسلطانه ، مقدراً مركزه ورياسته لهذا العدد من الأمراء الذين يحلونه لصفاته الشخصية من : شجاعة وقوة وغير ذلك ، ونشاهده متمسكاً بامتيازاته التى منحتة إياها سلطته العليا متمسكاً بضيع معه كل مجاملة بل كل تفكير فى المصلحة العامة . وهاك نموذجاً من ذلك التغطرس ، إذ يقول مخاطباً أخيلوس :

«إذهب ، بل فرّ بعيداً إذا كان سرورك فى هذا فن اليقيني أنه ليس أنا ذلك الذى سيرجوك أن تظل هنا لأجل مصلحتي ، إذ لدى وإلى جانبي أمراء آخرون سيشفوننى ،

وأعظم منهم زوس ذو الفكرة الحكيمة . إذهب إذاً ، إلى بلادك بسفنك وأصدقائك
وكن سيد جنودك ، فأنا غير آبه بما تفكر فيه ولست مشغولاً بغضبك »^(١) .

لا جرم أن من العسير التوفيق بين شخصية أجاممنون التي تمثلها لنا هذه الأنشودة
وشخصيته التي تمثلها لنا الأنشودتان التاسعة والرابعة عشرة غاية في الضعف والوهن
لا تعرف إلا البكاء واقتراح العدول عن الحرب والعودة بالخبية والفشل كل إلى مقره .
وأكثر من هذا أننا نرى ذيوميديس يسبه ويهينه على عكس ما يلتزم مع طبيعة منزلته
كملك الملوك . وقد اتخذ الأستاذ كروازيه هذا التناقض برهاناً على أن الأنشودتين التاسعة
والرابعة عشرة ليستا من الإلياذة البدائية كما أبنا ذلك في موضعه .

٣ — أوديسوس Odysseus

هو أكثر أبطال الهيلين حيلة وسياسة ودوراناً مع الظروف ، وقد كان رفاقه جميعاً
يعرفون عنه هذا ويقدرونه له ولا يدعون فرصة تمر دون الانتفاع بمواهبه السياسية ، فهو
الذي اختير زعيماً لسفارة الأكيان إلى أخيلوس ، وهو الذي أخذ على عاتقه حمل الجنود
على العدول عن فكرة الرحيل يوم تسرب إلى صفوفهم الفشل بسبب ابتلاء أجاممنون
إياهم ، ولكننا نؤثر أن نستبقى الحديث عن حيله ومكره إلى أن يجيء دور ذلك في موضعه
من الأوديسا ، لأنه بطلها الأوحده ، وقطب رحاها الأمل ، وإنما نريد أن نشير إلى أن
هذا البطل قد امتاز — إلى جانب هذه المرونة السياسية — بشجاعة نادرة تفوق شجاعة
غيره من الأبطال بأنها محوطة بسياج من الفكر والتدبير . وقد أبدى هذا في عدة مواقف
نختار منها ، كمثال ، موقفه مع ذيوميديس يوم دب إلى قلبه الخوف واليأس على أثر اقتحام
هكتور صفوفهم فلامه أوديسوس على فزعه ، وتقدمه إلى المعمة قائلاً :

« يَا بَنَ تِذْيُوس هل سننسى قيمتنا ؟ هلم يا صديقي وتعال هنا ، وقف بالقرب مني . أية

معة لنا إذا استولى هكتور العنف على سفننا^(٢) » .

(١) انظر رقم ١٧٣ وما بعده من الأنشودة الأولى . (٢) انظر رقم ٣١٩ وما بعده من الأنشودة الحادية عشرة .

٤ — أياس تيلامون Ajax Télamon

هو أحد عظماء أبطال الإلياذة الذين لعبوا في مواقعها أدواراً قيّمة . ومن أهم مميزاته نوع من الشجاعة خاص به ، وهو ما يسميه بعض النقاد بالشجاعة العنيدة التي لا تعرف العدول عن الطريق الذي بدأت السير فيه مهما أخطى بصاحبها الخطر وأحاطت به التهلكة المحققة . ومن آيات ذلك وقوفه وحده أمام تيار جيش الترواديين بعد أن أصيب رفاقه من قواد الأكيان .

٥ — ذيوميديس Diomedès

هو أحد أبطال الهيلين الشجعان الذين أفرد لهم المؤلف بين أناشيده مناظر ساحرة ، وهو الذي طعن « أريس » إله الحرب و « أفروديتيه » إلهة الجمال فخرحما واضطرها إلى مغادرة الميدان والانسحاب إلى الأولمب ، وكذلك هو الذي جرح « إنياس » بن أفروديتيه وإن كان ذلك كله بمعونة « أثينيه » ولكن الفرق بين شجاعته وشجاعة أياس هو أن شجاعته كانت خفيفة قفازة تقذف بنفسها بين أمواج الحوادث ، أما شجاعة أياس فقد كانت بطيئة سميكة ثقيلة تهوى على الخصوم هوى الصخرة المائلة التي كأنها قد شدت بما يمنع سرعة هويها فإذا وصلت إلى رؤوسهم سحقتهما .

٦ — نستور Nestor

هو شيخ هادىء حكيم رزين لا يمر بنفسه الغضب ، ولا تستولى على عواطفه الحدة ولا يخضع لهواه ، ولولا وجوده بين ملوك الهيلين لاضطربت صفوفهم ، وتفرقت جموعهم في كثير من المناقشات التي كانت تقع بينهم من حين إلى حين .

٧ — مينىلاؤوس Ménélaos

هو شقيق أجاممنون وزوج هيلينيه المخطوفة التي كانت سبب حرب تروادة وماتى كل هذه المصائب والنكبات ، وهو لا يقل عن شقيقه غرورا وعجرفة وأناية وإن كان أخفت منه اسما وأدنى قيمة . وكان أثقل منه ظلاً وأبغض إلى نفوس كل ملوك الهيلين . على أن ذلك لا يمنعنا من أن نعترف له بالشجاعة والقوة ، فهو لم يتردد لحظة فى قبول منازلة « إنياس » بن « أفروديتيه » ولا فى منازلة « باريس » خاطف زوجته حينما تعاهد الفريقان المتحاربين على ذلك .

٨ — هكتور Hector

هو أشهر أبطال الترواديين على الإطلاق ، وهو مثل أعلى فى الشجاعة والنبيل والعظمة تشهد بذلك مواقف الحربية التي تبهر العيون فخامتها ساعة الانتصار ، ويأسر القلوب جلالها إبان الانهزام . وفى كلتا الحالتين لا يغادرها النبيل ، ولا يفارقها السمو ، فهو فى حالة الفوز لا يقنع بما هو دون الحد الأعلى ، وإذا خانه الحظ لا يفكر فى الاحتفاظ بما بقى له ، وإذا توقع الخطر زاد ثباتاً وهدوءاً . وفوق ذلك فهو يمتاز بركة العاطفة وسمو الشعور ، وليس أدل على هذا من منظر وداع زوجته وابنه العزيزين وأمنيته لهذا الطفل بعد موته .

٩ — پرياموس Priamos

ليس الدور الذى لعبه پرياموس فى الإلياذة هو دور البطل الشاب الذى يصل بسيفه ويحول قهوى تحت قوائم جواده الفرسان كللى صريعة ، وإنما هو دور الشيخ البائس الذى انهار عرشه ، وتهدمت مدينته ، وقتل أبناؤه ، وتيتم أحفاده . وقصارى القول : هو دور يبعث الرحمة والرثاء ، لا الانبهار والإعجاب .

(ح) البطلات

كما عنى المؤلف بالأدوار التى لعبها الجنس اللطيف من الآلهة فى الإلياذة عناية جديرة بأن تترك فى ذهن القارئ صورة ألخم وأبهى من صورة أدوار الجنس النشط منهم ، لم يهمل كذلك دور هذا الجنس اللطيف من الأناسى ، بل قد جعله منشأ حرب تروادة التى لم تواف الإلياذة إلا لتروى بعض حوادثها ، وليس هذا فحسب ، بل كان ذلك الجنس مأتى مشاجرة أخيلوس وأجاممنون ، وبالتالى مصدر ديب أول خلاف فى صفوف الأكيان . والآن نحن نقتصر هنا على الإشارة إلى أشهر بطلات الملحمة فى إيجاز ، وإليك تلك الإشارات :

١ - أندروماخيه Andromaque

تعد أندروماخيه من أبداع الشخصيات التى تحدث عنها الشعر القديم ، فهى زوجة محبة إلى حد التفانى ، وفية إلى درجة المثالية ، وهى والدة رءوم عطوفة ترى فى ابنها صورتين محبتين إلى نفسها ، أولاهما صورة والده المعبود . وثانيتهما صورة فلذة كبدها ، وجزء فؤادها ، تبدو أول الأمر فى منظر وداع زوجها مستعبدة لعاطفة واحدة ، هى نجاة هذا الزوج العزيز ، وتتضرع إليه أن يعدل عن القتال ويبقى بجانبها ، فإذا رفض الاستجابة إلى دعاء لسانها وقلبها ، وركب رأسه إلى المعركة ووافاه فيها الأجل المحتوم وهوى هذا النبأ المشئوم على رأس تلك الزوجة التعسة فأفقدتها وعيها ردىاً من الزمن كان أول شعور يملكها بعد تنبئها من هول تلك الصدمة هو الأمومة المثالية التى لا يكاد القارئ يعثر عليها فى التراث القديم كله .

٢ - هيكوبيه Hécobè

هى والدة هكتور التى هصرت الكوارث قلبها بموت أولادها الذين شهدت مصارعهم واحداً بعد واحد إلى أن جاء دور أعزهم على نفسها ، وأحبهم إلى فؤادها وهو هكتور ،

فأخذت تتوسل إليه ألا يذهب إلى ساحة الوغى . ولما ضاعت توسلاتها سدى لم يعد في
وسمها إلا الأمل في عودته إليها ، والفرع على حياته ، والحزن على إخوته . وعند ما يقع
عليها نعيه تولول وتندب شبابه الماجد في منظر قائم رهيب .

٣ - هيلينه Hélène

هي ابنة زوس وليدا ، وزوجة مينيلأوس ، وهي منشأ حرب تروادة ، ومأتى تأليف
الإلياذة ، ولكن قارىء هذه الملحمة لا يكاد يستشف بين صفحاتها شيئاً من أخلاقها ،
وإنما جملها هو الذى يتلأأ من خلال أناشيدها فيسلك إلى قلب القارىء سبلاً غير مرئية ،
وينقش على صفحته آثاره القوية بأحرف الخلود .
هذا فى المواضع الخالية من رسم المؤلف صورة ذلك الحسن ، أما حين يصوره فإنه
يصل به إلى المثل الأعلى .

